وبيت زهير لا يجب فيه ما نتوهم من المناقضة والتكذيب لانه يمكن ان
يحمل على ما ذكرناه في احد الوجوه المتقدمة من انه اراد ان رسمها لم يعف
ولم يبطل كله وان كان قد غير الديم والارواح بعضه واثرت في بعض
فاما البيت الثاني فلا حجة فيه لانه لم يتضمن اثباتا ونفيا وانما دعى له
ان لا يبعد ثم رجع الى قوله بلى انه ليبعد من زار القبور وما يدعى فيه
غير واجب ولا ثابت فكيف بنا في الاثبات الثاني ويمكن في البيت وجه
اخر وهو ان يكون معنى لم يعف رسمها اي لم يزد ويكثر حتى يعرفه المترسم
ويثبته المتامل بل هو خاف غير لايح ولا ظاهر ثم قال من بعد بل
عفاه رسم دارس فلم يناقض الاول لانه قد اثبت الدروس له في كلا الموضعين
ولا شبهة في ان عفى من حروف الاضداد التي تستعمل تارة في الدروس
واخرى في الزيادة والكثرة قال الله تعالى حتى عفوا اي كثروا ويقال قد عفى
الشعر اذا كثر قال الشاعر   ولكنا نعض السيف منها   باسوق عافيات اللحم كوم
اراد كثيرات اللحم ويقال قد عفا وبر البعير اذا زاد ويقال اعفيت الشعر
وعفوته اذا كثرته وزدت فيه وامر رسول الله صلعم بان تحفى الشوارب وان تعفى
اللحى اي توفر وهذا الوجه اشبه عندي مما تقدم مجلس اخر تاويل آية ان
سال سايل عن قوله تعالى يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك
بغيا فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا فقال من هرون الذي
نسب مريم الى انها اخته ومعلوم انها لم تكن اختا لهرون اخو موسى وما معنى من
كان في المهد صبيا ولفظة كان تدل على ما مضى وعيسى عم في حال قولهم ذلك كان في
المهد الجواب قلنا هرون هذا الذي نسبت اليه مريم قد قيل فيه اقوال منها
ان هرون المذكور في الاية كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر والشر وفساد الطريقة
فلما انكروا ما جاءت به من الولد وظنوا بها ما هي عليها السلام مبراة منه من الشر
نسبوها الى هذا الرجل تشبيها وتعييرا وكان تقدير الكلام يا شبيهة هرون في فسقه

يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء

وقبيح فعله وهذا القول يروى عن سعيد بن جبير ومنها ان هرون هذا كان اخاها لابيها
دون امها وقيل انه كان اخاها لابيها وامها وكان رجلا معروفا بالصلاح وحسن الطريقة
والعبادة والتاله وقيل انه لم يكن اخاها على الحقيقة بل كان رجلا صالحا من قومها وانه
لما مات شيع جنازته اربعون الفا كلهم يسمون هرون من بني اسرائيل فلما انكروا ما ظهر من
امرها قالوا يا اخت هرون اي يا شبيهته في الصلاح ما كان هذا معروفا منك ولا كان
ذلك ممن يفعل القبيح ويتطرق اليه الريب وعلى قول من قال انه كان اخاها يكون معنى
قولهم انك من اهل بيت الصلاح والسداد لكن اباك لم يكن امرا سوء وما كانت امك
بغيا وانت مع ذلك اخت هرون المعروف بالصلاح والعفة فكيف اتيت بما لا يشبه
نسبك ولا يعرف من مثلك ويقوي هذا القول ما رواه المغيرة بن شعبة قال لما ارسلني
رسول الله صلعم الى اهل نجران قال لي اهلها اليس نبيكم يزعم ان هرون اخو موسى وقد
علم الله تعالى ما كان بين عيسى وموسى من السنين فلم ادر ما ارد عليهم حتى رجعت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك فقال لي فهلا قلت انهم كانوا يدعون بانبيائهم
والصالحين قبلهم ومنها ان يكون معنى قوله يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون
اخي موسى كما يقال للرجل يا اخا بني تميم يا اخا بني فلان وذكر مقاتل بن سليمان في
قوله تعالى يا اخت هرون قال روي عن النبي صلعم هذا الذي ذكروه هو هرون اخو موسى
عليهما السلام فقال مقاتل وتاويل الاية يا اخت هرون يا من هي من نسل هرون كما
قال الله تعالى والى عاد اخاهم هودا والى ثمود اخاهم صالحا يعني باخيهم انه من نسلهم
وجنسهم وكل قول من هذه الاقوال قد اختاره قوم من المفسرين فاما قوله تعالى من كان
في المهد صبيا فهو كلام مبني على الشرط والجزاء مقصود به اليهما والمعنى من يكون في المهد
صبيا فكيف نكلمه ووضع في ظاهر اللفظ الماضي موضع المستقبل لان الشارط لا يشترط
الا فيما يستقبل فيقول القايل ان زرتني ازرك يريد ان تزرني ازرك قال الله
تعالى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك يعني ان يشا يجعل وقال قطرب معنى كان ههنا معنى
صار فكان المعنى كيف نكلم من صار في المهد صبيا ويشهد بذلك قول زهير
اجرت اليه حرة ارحبية   وقد كان لون الليل مثل الارندج   وقال غيره

Copyright © King Saud University